قضية للمناقشة وموضوعات أخرى

أصحاب المعاشات: عالميًّا

صدر منذ سنوات قليلة تقرير عن «البنك الدولى» حول كبار السن، والتقرير فى أكثر من أربعمائة صفحة من القَطْع الكبير، وهو يتناول قضاياهم فى شتى أرجاء العالم.. وهو يشير فى البداية إلى أن الإنسان كلما كبر فى السن قلَّت ساعات عمله، وتضاءل إنتاجه، ونقصت موارده المالية، لذلك كان من الضرورى إيجاد نظم لرعايته من جانب المجتمع والحكومة.. لأن كبار السن قد أعطوا كثيرًا، ثم أنهم شريحة من المجتمع جديرة بالمساعدة والمساندة، ولا يمكن أن يُتركوا فريسة للفقر والمرض والقلق فى شيخوختهم.

وقد ابتكرت أنظمة وآليات وهيئات تنهض بهذه المسئولية، لكنها لم تعد قادرة على النهوض بمسئولياتها بالكامل إزاء تراخى المؤسسات الأهلية، وضعف الروابط العائلية، والزيادة الكبيرة والمضطردة فى أعدادهم.. ويكفى أن نشير إلى أن عددهم فى عام ١٩٩٠ كان يزيد قليلا على ٩٪ من عدد السكان فى العالم. إن الذين تجاوزوا سن الستين بلغوا نحو خمسمائة مليون، فى حين سيصبح عددهم سنة ٢٠٣٠ ما يزيد على ألف و٤٠٠ مليون، والنسبة الكبيرة من هؤلاء سيكونون من الدول النامية.. وذلك بسبب زيادة الإنجاب، والتقدم الصحى والطبى.. إن عددهم فى الدول النامية يزداد بسرعة أكبر مما هى عليه فى الدول الصناعية.. بمعنى أن بلجيكا مثلا احتاجت إلى مائة عام لتضاعف نسبة من يزيدون على ستين سنة.. كانوا ٩ بالمائة،

صاروا ١٨ فى المائة خلال قرن من الزمان.. واحتاجت فنزويلا والصين إلى ٣٤ عامًا فقط لتحقق هذا التضاعف.

إن كبار السن ـ ممن تجاوزوا الستين ـ سيصبحون ثلاثة أضعاف ما هم عليه اليوم بحلول سنة ٢٠٣٠.. ، وفى الوقت الذى سيكون فيه معدل الزيادة فى الدول الصناعية ١٤٪، سيكون فى الدول النامية وآسيا والصين ما بين ٢٨٪ و ٢٩٪.. وهذه الزيادة تعنى أعباء طبية ثقيلة، خاصة بعد أن أصبحت نفقات العلاج باهظة، وأساليبه معقدة ومرهقة.. كما أنها تعنى معاشات أكثر ورواتب وإعانات أكبر، مما يسبب ارتباكًا فى ميزانيات هذه الدول الفقيرة.. بجانب أنه يسبب لها متاعب إدارية، وللتدليل على ذلك أشار التقرير إلى أن «زامبيا» مثلا مابين عامىْ ١٩٨١ و ١٩٨٨ قد فقدت ٢٣٪ من الميزانيات المخصصة لكبار السن، إلى حد أن نصف المخصصات لكبار السن أُنفقت عام ٨٨ على الأمور الإدارية!

وفى «المجر» يتقاضى ربع عدد السكان معاشات، الأمر الذى تسبب فيه النزول بسن المعاش إلى ٥٤ سنة، وقد حرم ذلك سوق العمل من أعداد كبيرة لها خبرة عالية، وحمل ميزانية البلاد فوق ما تطيق.. والحكومات فى هذه البلاد لا تجارى ما يحدث من تضخم فى العملات، إلى حد أن قيمة المعاش الحقيقية فى «فنزويلا» انخفض بنسبة تزيد على ٦٠٪ فى الثمانينيات.

وهذه المعاشات فى بعض البلدان يمكن أن تتسبب فى عرقلة النمو الاقتصادى.. وفى بلد متقدم مثل «النمسا» تشكل المعاشات ١٥٪

من الدخل القومى فى عام ١٨٩٨، وهى تعادل نحو ٤٠٪ من الإنفاق العام، الأمر الذى اضطرهم إلى إعادة النظر فى الموضوع برمته.

ومن المعروف أن الأغنياء فى الدول المتقدمة أطول عمرًا من الفقراء..

لذلك فإن هؤلاء الأغنياء يغنمون قسطًا أكبر من المعاشات فى كل من أمريكا والسويد وهولندا.. وإذا ما كان الاقتصاد فى البلاد فى تقدم وازدهار وتنام، استطاع أصحاب المعاشات أن يعيشوا ماديًا حياة أفضل، خاصة أن أغلبهم يكون لديه مدخرات تساعده على أن يبقى على مستواه.. وبالذات إذا تمكن من استثمارها.

إن هذا التقرير عن كبار السن وأصحاب المعاشات، الذى أصدره «البنك الدولى» حافل بالمعلومات، ولسوف نعاود الرجوع إليه ما بين حين وآخر، لنقدم ماهو جديد وطريف منه، وإنْ كنا بحاجة ماسة إلى معرفة ما يجرى هنا فى بلادنا فى هذا الصدد، وليت المسئولين عن المعاشات فى بلادنا يكتبون إلينا بما عندهم من بيانات فى هذا الصدد من أجل المزيد من المعرفة لها ولأبعادها.

* * *

هل العمر جميل حقًّا؟

ربما يثير هذا العنوان سؤالاً، أو تساؤلا طريفًا:

- هل العمر جميل حقًّا أم أننا نحاول - مجرد محاولة - لأن نُضفى عليه صفة تجعله محتملاً ومقبولاً ؟

إننا كثيرًا ما نسمى الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، الأعمى نسميه البصير، وفى المقاهى نسمع «الجرسون» يقول عن الأكواب الفارغة «المليان»، وما إلى ذلك، فهل كلمة «الجميل» التى نلحقها بالعمر من هذا اللون؟!.. الحقيقة أن العمر - مهما طال أو قصر - هو «جميل»، وخير دليل على ذلك أننا نحاول أن نتذكر منه ما كان جميلاً، وقليلا ما يستدعى الواحد منها الذكريات المحزنة، والإحباطات الكبيرة، والفشل الفظيع.. ونحن كثيرًا ما نذكر المناسبات البهيجة، والنجاحات الصغيرة، والبسمات الحلوة على طريق العمر..وهو يكون جميلا فى هذه الحالة، حتى لو أن البعض منا يصمه ويصفه بكلمة مؤذية أحيانًا، حين يقول إنه قد وصل من العمر إلى (أرذله)، والسؤال:

- هل يصل كبار السن إلى أجمل ما فى العمر أو أرزل ما فيه؟

كبار السن يذكرون طفولتهم بفرحة غامرة، ويتذكرون شقاوتهم خلالها، وبعضهم يرون فيها أفضل سنى العمر، وهم خلال ذلك ينسون، ويتطلعون إلى تجاوزها بأسرع ما يمكن، هربًا من الامتحانات

والمدرسة، والعقوبات التى كان الآباء يفرضونها، وذلك الاستبداد الذى كان يقع عليهم من قبل الكبار.. إنها مرحلة بهيجة الآن، أمَّا حين كانوا يعيشونها، فقد كانت غاية فى القسوة.

ويتذكر كبار السن فترة شبابهم، ويهتفون بها مِنْ أعماق قلوبهم:

ألا ليت الشباب يعود يومًا .·. لأخبره بما فعل المشيب

هم يرون الآن أجمل سنى العمر، ويتطلعون إلى عودته لمجرد إخباره بما فعله بهم المشيب، ولكى يشكوا إليه سنين عمرهم التى امتدت وطالت لترهقهم.. لكنهم مازالوا متشبثين بها، وبه.. كم كان الشباب رائعًا وبديعًا، فيه قوة، وفتوة، وحياة.. أين منها نحن الآن، الذين نعيش ما يسمونه ساخرين: العمر «الجميل»؟!.. أى جمال فيه؟!..

الواقع أننا نستطيع أن نقدم قائمة طويلة لألوان من الجمال فيه قد تمتد طويلاً، برغم الشكوى منه، ويكفى أن نطرح سؤالاً بسيطًا ساذجًا نعرف الإجابة عليه مقدمًا، السؤال يقول:

ـ قد تكون ضيق الصدر بهذا العمر الجميل، هل يطيب لك أو تتقبل أن تتجاوزه؟!

نعرف أن بعضكم قد ابتسم، وآخرون ضحكوا.. وربما قهقهوا وأعلنوا عن رضاهم بما هم فيه، وقناعتهم به، وليست لديهم أدنى رغبة فى تجاوزه، أو التنازل عنه.. هم يريدون أن يمتد ويمتد... مَدَّ الله فى عمركم.

* * *

تقيم الأمم المتحدة مؤتمرًا خاصًّا، تشارك فيه ست دول.. المؤتمر بمناسبة العام الدولى للمسنين، ومصر على رأس الدول الستة التى تنظم هذا المؤتمر، وتقدم له تجربتها البالغة الخصوصية فى مجال رعاية كبار السن، ممن هم فوق الستين من العمر.. والأرقام التى تحويها الدراسات لها دلالة كبيرة.. فقد ارتفع متوسط الأعمار فى بلادنا إلى درجة ملحوظة، نتيجة للرعاية الصحية، وانخفاض نسبة الوفيات بين الأطفال، وما إلى ذلك.. وقد أصبح لدينا ما يزيد على ستة ملايين وستمائة ألف أسرة تحصل على معاشات من هيئة التأمينات، وهو رقم ضخم بكل المقاييس، خاصة أن متوسط عدد الأفراد فى كل أسرة كبير، مما يدل على ضخامة أرقام المستفيدين من نظام المعاشات والتأمينات فى بلادنا، ولعل رقمًا آخر يؤكد هذه الحقيقة الهامة:

إن قيمة هذه المعاشات تتجاوز فى العام الواحد عشرة مليارات من الجنيهات.. وهو مبلغ ضخم، يثبت أن رعاية كبار السن تلقى من مصر اهتمامًا كبيرًا، تتحمله الدولة ردًّا لجميل هؤلاء الذين أعطوا الكثير فى سنى شبابهم، ومن حقهم عليها أن يحصلوا على تقدير مادى يليق بعطائهم..وإذا كان هذا يحدث مع كبار السن، فإن الدولة لم ولن تغفل عن هؤلاء الذين يعطون الآن، لذلك فقد شملت مظلة التأمينات فى بلادنا ما يزيد على سبعة عشر مليون،

ومائتى ألف شخص، وترتب لهم الدولة أمر معاشهم مستقبلاً، بعد أن يبلغوا السن القانونية، وهى سن الستين، ويتجاوزوها إلى الخامسة والستين فى بعض الحالات الخاصة.. وذلك من أجل أن يطمئن العاملون فى بلادنا إلى أن رعايتهم تمتد إلى ما بعد ترك الوظيفة، وتوقفهم عن العمل.

والترابط الأُسَرى فى بلادنا مظلة أخرى، وفى ريفنا وقُرانا يحوط الأهل كبار السن بكل الاحترام وبكل التقدير والحب، لذلك لا تحتاج هذه المناطق إلى دُورٍ للمسنين التى تنتشر فى شتى أرجاء العالم، وإن كانت بعض عواصم المحافظات فى بلادنا قد أقامت هذه الدور، ويبلغ عددها الآن نحو سبعين دارًا، فى أربع عشرة محافظة، تَسَعُ ما يزيد على الثلاثة آلاف شخص.

ولقد وضعت وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية خطة جديدة لتوسيع قاعدة المستفيدين من كبار السن بالمزيد من الرعاية والخدمات، بتخفيض أجور المواصلات لهم، وأيضًا دور المسارح والسينما، وما إلى ذلك، ليتسنى لهم قضاء حوائجهم ومزاولة نشاطهم.. إن لهم فى النفوس مكانة خاصة.

* * *

التكيُّف والتوافق

تعترى الإنسان تغييرات عدة عبر حياته، وخلال عمره.. كما أن المجتمع من حوله يتغير، فهو يكبر فى السن، وتقل قُدرته على التكيّف والتوافق مع ماحوله ومَنْ حوله، فما بالكم إذا كان هذا أيضًا فى تغيُّر مستمر؟!.. الأمر يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الجهاز العصبى للمسن، وعلى مدى مرونته، وقدرته على التحمل والتغيُّر، حتى لا تحدث فجوة واسعة فيما بينه وبين الآخرين، خاصة فيما يتعلق بأموره الاجتماعية والأسرية.. وتؤدى العادات والتقاليد هنا دورًا بارزًا، فمع تقدم العمر يزداد اهتمام كبار السن بآراء الناس، وتشتد مراعاته لما درج عليه من قيم وعادات وتقاليد، وهذه أيضًا تلحق بها متغيرات تجعل من الصعوبة بمكان مجاراتها، ويقع فى شَدّ وجَذْب، خاصة أن بعض الناس من حوله ينظرون إليه فى استخفاف كقطعة من الماضى بقيت من زمن فات.. ربما يجد فيه البعض خبرة عريضة، ويحترمونه لماضيه، وربما استشاروه فى أمر أو آخر من أمورهم، إذا ما استطاع أن يتوافق مع الزمن ومع من حوله، وهو بحاجة إلى أن يفهم الأجيال الجديدة، وطُرُق تفكيرها، وإلاَّ تجاوزته، وزادت الهوة بينها وبينه، وسار كل منهما فى حال سبيله، وبالذات إذا ما حالت حالته الصحية بينه وبين مُجاراتهم، وهو بالطبع أكثر توافقا مع جيله.. لكن إذا ما توفر له ما يقوم به، وأحاط نفسه بالأصدقاء، وعاش حياة أسرية فيها لون من المودة والمحبة، استطاع

أن يتكيف، ويتوافق مع الظروف المحيطة به، أما إذا انقطع عن ممارسة نشاطه العملى والذهنى، وانعزل، ضاقت من حوله الدائرة، وصار عُرضة لتفكير فيه إحباط، وإحساس بقرب النهاية، الأمر الذى يزيده قلقًا وتوترًا وانكماشًا.. ومما لاشك فيه أن نظرته لذاته لها دورها، وأهميتها.. فإذا ما كانت متضخمة زادت تضخمًا، وتنافَرَ مع مَن حوله، أما إذا ما أحسن تقدير حجمها، وتمتع بفضيلة التواضع أمكنه أن يُساير المجتمع الجديد، ويتكيف معه، ويتوافق..

ولا شك أن الظروف الاقتصادية لها تأثيرها من حيث إمكانيات كبار السن المادية، و محاولة مواجهة نفقات الحياة، والعلاج من الأمراض، والنجاح فى مثل هذه الظروف يسبب لونًا من الأمان والاطمئنان والاستقرار، والعكس صحيح.. وتأتى الحالة الدينية للمسن قبل هذا، وبعد هذا، إذ لها دورها وأهميتها، والبعض يلجأ فى هذه المرحلة إلى العبادات، وهو هنا يحتاج إلى لون من القوانين: «اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعملْ لآخرتك كأنك تموت غدًا».

والاتجاه إلى الدين حافز قوى على إدراك التكيُّف النفسى، والتوافق الاجتماعى، شريطة ألاَّ يكون انسحابًا وهروبًا.. وعلاقة كبار السن بأمور الدين تحتاج إلى ضرورة الحديث عنها بالتفصيل، بل وفى إسهاب دون ملل.

* * *

الأديان وكبار السن

حاولت الأديان السماوية أن تعطى كبار السن حقهم الكامل فى الرعاية والاهتمام بهم واحترامهم.. وكما تحددت مراحل الطفولة بمصطلحات مثل: الوليد، الرضيع، الحضين، مرحلة ما قبل المدرسة، والطفولة المبكرة، وما إلى ذلك من مسميات، أصبح لكبر السن أيضًا مسميات: فهو كهل عندما يبلغ الخمسين، وهو شيخ فيما بعد ذلك، ثم يصبح هَرِمًا ومعمرًا إذا ما تجاوز السبعين.. ولاننسى أن متوسطات الأعمار قد زادت فى السنوات الأخيرة بسبب تقدم الطب، والعلاج من أمراض كانت فيما مضى تغتال أصحابها فى سن مبكرة، لذلك فإن هذه التسميات ربما لا تكون متوافقة تمامًا مع هذا العصر الذى أصبح متوسط العمر فى بلاد ـ كاليابان والدول الاسكندنافية ـ يزيد على الثمانين، ويتجاوزها كثيرون إلى ما بعد المائة، وكان العرب يطلقون على هؤلاء اسم: «المعمرين»، وهم مَنْ يتجاوزون المائة.

وفى الكتاب المقدس لدى المسيحيين، قوله: «شوقناكم فلم تشتاقوا.. ونُحنَا لكم فلم تبكوا.. صاحبَ الخمسين: ما قدّمت وما أخّرت؟ ياصاحب الستين قد دَنَا حصَادُك. وياصاحب السبعين هَلُمَّ إلى الحساب».

وجاء فى القرآن الكريم فى سورة الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وفى سورة الأحقاف: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٥ ـ ١٦].

وفى الحديث الشريف، ما معناه « العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه، وإذا بلغ ستين رزقه الله تعالى للإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله حسناته ومحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشَفَّعَهُ الله فى أهل بيته، وكُتب فى السماء أسير الله

فى أرضه». . لقد ورد هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد، ورواه الحافظ الموصلى عن عثمان بن عفان.

هذابعضٌ مما ورد فى الأديان عن كبار السن. . وإسلامنا ليس عبادات فحسب، بل إن ديننا علاقة بين الإنسان وربه، والإنسان وأخيه الإنسان، والإنسان ونفسه، لذلك فإن موضوع السن، وكبار السن، له فى الدين الحنيف مكان ومكانة، ونحن بحاجة إلى تناوله، وفق ما جاء فى تراثنا الدينى والعربى، فقد حفل بأحاديث واجتهادات عدة، لابد أن نعرضها كما وردت فى أمهات الكتب القديمة. .

* * *

المسنون والمجتمع

كلما تقدم كبار السن فى العمر زادت عزلتهم، وهم فى المُدُن أكثر عزلة منهم فى القرى، حيث الروابط والتقاليد العائلية تقوى فى الريف.. وتأتى العزلة من الجانبين، من جانب كبير السن، حيث تصبح صلاته الاجتماعية قليلة، إذ بَعُدَ كثيرًا عن زملاء العمل، كما أن الكثيرين من أصدقائه ورفاقه مضوا ورحلوا، بجانب أنه ليس سهلاً ولا يسيرًا أن يتنقلوا، لأن بعضهم لم يعودوا قادرين على ذلك بسبب ما أصابهم من ضعف ووهن، فضلاً عن أنهم لا يجدون الأماكن المناسبة التى يسعون إليها، لذلك يلجأ بعضهم إلى المقاهى، بحثًا عن وسيلة لقضاء الوقت، وقتله بواسطة «الشطرنج» و«الدومينو» و«الطاولة»، أو عن طريق الثرثرة إنْ وجد مستمعًا، وربما اضطر هو لأداء دور المستمع؛ وإعطاء أُذنيه مضطرًّا، إلى الآخرين.

وبعض كبار السن فى هذه المرحلة من العمر يحسّون بالقلق والانزعاج وعدم الطمأنينة، لهذا لا تندهش إذا بدأت اهتماماتهم أكثر بالأمور المالية، ويبتسم البعض لهم وهم يقلّبون ـ كالتجار ـ فى دفاترهم القديمة، وإن انصرف عنهم الناس، إذ يرون أن العلاقة بهم لن يكون لها عائد مادىّ أو مصلحة خاصة..

ويجد كبار السن أنفسهم مضطرين لمزيد من الانسحاب من

المجتمع، فى حين لا يُقبل المجتمعُ نفسه عليهم، وهنا يحسون بالضيق، ويظهر ذلك فى تصرفاتهم العصبية، وينفردون بأنفسهم لساعات طويلة.. ربما قضاها بعضهم فى الصلاة والتعبد، إذا ما كان الواحد منهم أصلاً ممن كانوا يؤدون الشعائر الدينية فى فترة شبابهم.. وقد ينهمك البعض فى هذه الأمور بشكل كبير، وتزداد رغبتهم فى الاستماع إلى القرآن الكريم، كما يقبلون على متابعة الأحاديث الدينية من خلال أجهزة الإعلام، وإذا ما كانوا قادرين على القراءة يتجهون إلى هذا اللون من الكتب، وينغمرون فى الحديث عنها.

وفى الريف تنعقد حلقات ولقاءات أمام الأبواب، أو فى مكان أو ساحة مناسبة يجتمعون فيها لتبادل الأحاديث واجترار الذكريات.. وقد يصبح الوقت مملاً بالنسبة لبعضهم، ويحسون بوطأته بقوة، ويقتصر الأمر على زيارات قصيرة يقومون بها، أو يستقبلون أصحابهم.. وكل منهم فى يده عصا يعتمد عليها، وفى الأخرى مسبحة، يذكر الله وحباتها تنساب بين أصابعه.. تخفيفًا لقلقه وتقليلاً لما قد يُصاب به من ضيق وعصبية.. أتراها صورة سلبية وقاتمة؟ أم أن لها إيجابياتها؟

أيًّــا كانت الإجابة، فإنها تدفعنا للتفكير فى تفادى ما يمكن أن ينجم عنها من عدم اندماج فى المجتمع: ريفًا أو حَضَرًا.

* * *

يقول العلم الحديث إن الإنسان قد يستطيع أن يعيش إلى ما بعد المائة والخمسين عامًا إذا ما نجح فى الاحتفاظ بجسمه وغدده وخلاياه سليمة، وباعد ما بينه وما بين ما يتلف أجهزته وأعضاءه.. وقد ذكر صاحب كتاب «المعمرون» ـ وهو أبو حاتم بن الساجستانى ـ أعمار بعض من أشار إليهم، وعلى رأسهم الخضر ونوح عليهما السلام، فقد ورد فى كتابه هذا ـ وقد حققه الأستاذ عبد المنعم عامر فى مطلع الستينياتَ ـ أن نوحًا الذى عاش مئات السنين سُئل: كيف رأيت الدنيا؟.. أجاب: مثل رجل بُنى له بيت له بابان، فدخل من واحد وخرج من الآخر.. وفى رواية: دخل من أحدهما وجلس هنيهة ثم خرج من الباب الآخر.

وهناك من الأحاديث الشريفة ما ينسب للرسول ﷺ والتى توقر كبير السن.. من ذلك: «ليس منَّا من لا يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا».. وأيضًا: «ليس منَّا من لا يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا».. وأيضًا: «ما أكرم شابٌّ شيخًا لسنّة إلا قيَّضَ الله له مَنْ يكرمه عند سِنّه».

وعند المسلمين يُكْرَمُ المرء لِسنّه، وكبيرهم سنًّا يؤمهم فى الصلاة، وهم مُقدَّمُون على غيرهم لما بذلوه من عطاء وجهد، ولحكمتهم وخبرتهم وتجاربهم، ولأنهم قضوا سنين أطول فى عبادة الله وتقواه، كما أنهم ضعفوا ووهنوا بحكم العمر الذى عاشوه

ويستحقون الرعاية والمعونة، ووسائل رعايتهم متعددة ومعروفة: توقيرهم، واحترامهم، وإكرامهم دون أن يطلبوا، ودون المساس بمشاعرهم وأحاسيسهم وكرامتهم، وإذا كان الأقربون أولى بالمعروف، فإن الوالى عليه مسئولية رعاية كبار السن وغير القادرين على الكسب والعمل.. وكلنا يذكر حكاية ذلك الرجل الطاعن فى السن الذى اشتكى ولدَه إلى الرسول ﷺ، فبكى عليه الصلاة والسلام، وقال للابن تلك العبارة الخالدة على مر الزمان:

ـ «أنت ومالك لأبيك»..

وكلنا يذكر وصية أبى بكر الصديق إلى أسامة بن زيد وهو فى طريقه إلى حرب الروم، إذ قاله له:

ـ «أُوصيكَ ألاَّ تقتل طفلا صغيرًا، ولاشيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة».

وتحدثنا سورة هود عن زوجة سيدنا إبراهيم التى بشرها الله بابن: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢].

وقد أعطاها الله إسحاق، ومن بعده يعقوب.. إنه سبحانه القادر على كل شىء.. لقد رَعَى الله سبحانه وتعالى هذه السيدة العجوز، وأنزل ذلك فى كتابه الكريم، لعل الناس يتعظون ويولون كبار السن ما هم جديرون به من رعاية وعناية.. وكتب التراث حافلة بالكثير حول الإسلام ورعاية المسنين وما أمر الله به نحوهم وما حضّنا عليه رسول الله (ﷺ).. فلابد لنا من أن نتبعه ونسير على هُداه.